

الحلقة الخامسة

كلمات الرسل الأوائل

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي بعنوان: من كتابات الرسل الأوائل. لقد دوّن رسل المسيح الأوائل رسائل عديدة، شرحوا فيها الحقائق والتعاليم المسيحية، كما وضعوا لجماعة المؤمنين أسس ومبادئ السلوك المسيحي.

ما هو موقفك صديقي من الشخص الذي يؤذيك؟ هل تتناصبه العداة؟ وهل تحاول الانتقام منه وإيذاءه؟ قد يكون هذا هو الموقف الطبيعي لمعظم الناس. لكن للمسيحية موقفاً آخر يختلف بالتمام عن هذا الأمر، فهي تدعو للمحبة، لأن الله في المسيحية هو إله المحبة. وانطلاقاً من هذا المبدأ المسيحي حثّ الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل المؤمنين بالمسيح لكي يطبقوا هذا المبدأ في سلوكهم اليومي فكتب قائلاً:

«لَا تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرِّ بَشَرٍ. مُعْتَنِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ فُذَامَ جَمِيعِ النَّاسِ. إِنْ كَانَ مُمَكِّنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ. لَا تَنْتَقِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِي النَّفْمَةُ أَنَا أَجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمُهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لِأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هَذَا تَجْمَعُ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ». لَا يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلْ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ» (رسالة الرسول بولس إلى رومية ١٢: ١٧-٢١).

إنها بالفعل كلمات مؤثرة تحث المؤمنين بالمسيح على السلوك بالمحبة حتى تجاه الأعداء. فهل سمعت مستمعي بمثل هذه المبادئ السامية في أية ديانة أخرى أو مذهب آخر. سنتأمل الآن بهذه الآيات المقدسة فابقوا معنا أعزائي.

صديقي المستمع، لقد بدأ الرسول بولس بالقول: «لَا تُجَازُوا أَحَدًا عَنْ شَرِّ بَشَرٍ». أي على المؤمن بالمسيح أن لا يقابل الإساءة بالإساءة، لأن هذا التصرف يناقض مبدأ المحبة المسيحي. فإذا قابل المؤمن الإساءة بالإساءة يكون قد فعل كباقي الناس الآخرين، ولم يختلف عنهم، لأن المطلوب منه أن يعيش المحبة.

ثم أضاف الرسول بولس قائلاً: «مُعْتَبِينَ بِأُمُورٍ حَسَنَةٍ قُدَّامَ جَمِيعِ النَّاسِ. إِنْ كَانَ مُمَكِّنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ.» من المهم جداً أن يسلك المؤمن بالمسيح بشكل لائق ومهذب أمام جميع الناس، وأن يسعى لمساعدتهم. وليس هذا فحسب بل أن يحاول أن يكون مسالماً للجميع قدر الإمكان.

وتابع الرسول بولس حاثاً المؤمنين بالمسيح قائلاً: «لَا تَنْتَقِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الْأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ» لا بد أن يتعرّض المؤمن بالمسيح في حياته كغيره من البشر إلى الإساءة، وقد يُعتدى عليه. لكن عليه أن لا يسعى للانتقام، بل يعطي مكاناً للغضب، أي يدع الغضب لله، إذ هو الذي سيدافع عنه.

وهو ما أوضحه الرسول بولس عندما أضاف قائلاً: «لَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِي النِّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لِأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هَذَا تَجْمَعُ جَمْرًا نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ.» وهنا استشهد الرسول بولس بسليمان الحكيم الذي كان قد كتب في شاهدين بسفر الأمثال قائلاً: «لَا تَقُلْ: «إِنِّي أُجَازِي شَرًّا». انْتَظِرِ الرَّبَّ فَيَخْلُصِكَ» (أمثال ٢٠: ٢٢). أما في الشاهد الثاني فكتب سليمان الحكيم قائلاً: «إِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ خُبْزًا، وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ مَاءً، فَإِنَّكَ تَجْمَعُ جَمْرًا عَلَى رَأْسِهِ، وَالرَّبُّ يُجَازِيكَ» (أمثال ٢٥: ٢١-٢٢).

على المؤمن بالمسيح إذاً أن لا يقابل الشر بالشر، بل أن يثق أن الله نفسه سيدافع عنه، وينصفه. لا بل عليه أن لا يُسامح عدوه فحسب بل أن يُحسن إليه. فإن وجده جائعاً عليه أن يطعمه، وإن كان عطشاناً عليه أن يسقيه ماء. ويكون بذلك كمن يُخجل عدوه إذ يقابل الإساءة والعداء بالمسامحة والغفران والإحسان.

وختم الرسول بولس كلامه بهذه النتيجة الهامة: «لَا يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلْ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ». إذا قابل المؤمن بالمسيح الشر بالشر، يكون كمن غلب بواسطة الشر. لهذا عليه أن يقهر الشر بالخير. وبذلك يكسر حلقة الانتقام ويمهّد الطريق للمصالحة، وهكذا يريح عدوه بالمحبة التي يطلبها منه الله.

مستمعي الكريم، كان المخلص المسيح نفسه قد صرّح في موعظته الشهيرة على الجبل قائلاً: «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيْبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِأَعْيُنِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (الإنجيل بحسب بشارة متى ٤٣:٥-٤٥)،

أجل، هذا هو المقياس الصحيح الذي يطلبه الله المحب منا كبشر. أن نحب أعدائنا ونبارك لاعيننا. وهذا عكس القانون السائد بين البشر، أنه إن أساء إليك أحدهم عليك أن ترد عليه، وتقابل الإساءة بالإساءة، وترد الصاع صاعين. لكن مبدأ المحبة يتطلب منك على العكس أن تعامله بالمحبة والغفران.

لعلّ السؤال الهام الآن هو: كيف بإمكان الإنسان أن يعيش حياة المحبة التي يطلبها الله منه؟ للإجابة نقول: إن الإنسان بطبيعته الخاطئة لا يستطيع أن يطبق مبدأ المحبة في حياته وفي علاقاته مع الناس الآخرين، والسبب لأن هذا يناقض طبيعته الساقطة. فكيف بإمكانك مستمعي أن تحصل على صفة المحبة؟

لكي تأخذ مستمعي صفة المحبة عليك أن تتال أولاً الطبيعة الروحية الجديدة التي يهبها الله لك. هذه الطبيعة التي تبدل حياتك من الداخل، وتحل روح الله القدوس في كيانك، وعندها تستطيع أن تعيش حياة المحبة التي يطلبها الله منك، وأن تُقابل الإساءة والعداء بالغفران والمسامحة والإحسان. لكن لكي تتال هذه الطبيعة الروحية الجديدة، عليك أن تؤمن بالمخلص المسيح الذي أرسله الله لكي يموت على الصليب عوضاً عنك، آخذاً عقاب خطاياك، وعندها يهبك الله الغفران عنها، ويمنحك الطبيعة الروحية الجديدة، التي تستطيع أن تعيش بواسطتها حياة المحبة بالفعل، وتتال أيضاً الحياة الأبدية.

إن سلوك المحبة يُظهر حقيقة الله المحب، الذي هو المحبة بعينها. على عكس ما تعلّمه بعض الديانات التي تدعو إلى الكراهية والعنف ضد الآخرين. ألا تود مستمعي أن تعيش حياة المحبة؟ لم لا تؤمن الآن بالمخلص المسيح الذي برهن عن المحبة الحقيقية لنا نحن البشر الخطاة، وهكذا تصبح من أولاد الله وتعيش حياة المحبة حقاً وفعلاً!